

مكائيات كلية ودمنة

11

حرب البوم والغربان



تأليف: د. عبد الله بن عبد الله
رسم: د. عبد الله بن عبد الله
مراجعة: د. عبد الله بن عبد الله

المؤسسة العربية للدراسات والبحوث

بيروت - لبنان
www.abe.org.lb
011 521 1111

يُحْكِي أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ شَجَرَةٌ ضَخْمَةٌ ، كَثِيرَةُ
الْأَغْصَانِ وَالْفُرُوعِ ..

وَيُحْكِي أَنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَغُرٌّ لِلْغُرْبَانِ ، يَعِيشُ فِيهِ أَلْفُ غُرَابٍ ..
وَكَانَ لِلْغُرْبَانِ مَلِكٌ حَكِيمٌ عَاقِلٌ ، لَا يَقْضِي أَمْرًا قَبْلَ أَنْ يَشَاوِرَ فِيهِ
الْعُقَلَاءَ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَيَأْخُذَ بِرَأْيِهِمْ ..

وَقَرِيبًا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَانَ يُوجَدُ فِي الْجَبَلِ كَهْفٌ تَعِيشُ فِيهِ
أَلْفُ بَوْمَةٍ ..



وكان اليوم ملك مغرور متجبر ، شديد الظلم والبشر والعدوان على
جيرانه الغربان ..

وذات ليلة ظلماء خرج ملك اليوم يقود أصحابه ، فأغاروا على وقر
الغربان غارة مفاجئة - وهم ما يزالون نياما - فقتلوا منهم عددا كبيرا ،
وأصابوا عددا آخر إصابات خطيرة .. والمعلوم أن اليوم ترى ليلاً ،
وتعجز عن الرؤية نهارة ..

فلما أصبح الصباح ولاخ بوجهه الوضاح ، اجتمعت الغربان
إلى ملكها ، وهم في حالة خطيرة يرئى لها ، وقال أكثرهم لباقة :
- قد غلبت أيها الملك ما لقينا الليلة من ملك اليوم



وأغوابه .. لقد علموا مكاننا وتجزؤا وا على وطننا ..

وراح ملك الغربان يستعرض رعاياه وأهل مملكته حزيناً ، فلم ير
حوالة غير قتيل أو جريح أو مكسور الجناح أو متثوب الريش أو
مقطوع الذنب ، فسلأته الحسرة وهذه الهمم .. وتحدث غراب آخر فقال :

- إن الأهم من ذلك أن أعدائنا اليوم ، بعد أن علموا مكاننا وتجزؤوا
علينا ، لا بد أن يعودوا إلينا ، وكل هدفهم هو استبصالنا .. أنت
ملكنا ويجب أن تعمل على حمايتنا من أعدائنا ..

راح ملك الغربان يفكر فيما يجب عليه أن يفعله
تجاه رعاياه ، لكنه لم يشأ أن يقرّر أمراً
قبل أن يستمع إلى آراء



مُسْتَشَارِيهِ ، فَرُبَّمَا أَفَادُوهُ بِرَأْيٍ لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ ..
وَكَانَ لِمَلِكِ الْغُرَبَانِ خَمْسَةُ مُسْتَشَارِينَ ، فَنَظَرُوا إِلَى الْأَوَّلِ مِنْهُمْ قَائِلًا :
- مَا رَأَيْكَ فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَي رُغُوسِنَا جَمِيعًا وَقَوَّعِ
الصَّاعِقَةِ ؟

فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْأَوَّلُ :

- لَا أَرَى خِلاَ لَهُذِهِ الْكَارِثَةِ سِوَى أَنْ نَهْرَبَ مِنْ غَدُونِنَا لِأَنَّهُ قَدْ تَجَرَّأَ
عَلَيْنَا فِي أَوْطَانِنَا ، وَلَنْ يَدْعُنَا نَعِيشُ فِي سَلَامٍ بَعْدَ الْيَوْمِ ..
فَنَظَرُوا مَلِكَ الْغُرَبَانِ إِلَى الْمُسْتَشَارِ الثَّانِي قَائِلًا :
- وَأَنْتَ مَاذَا تَرَى ؟



فقال المستشار الثاني :

- لا أرى إلا ما رآه زميلي .. ليس أمامنا إلا الهرب ..

فغضب ملك الغريبان وقال :

- ليس هذا برأي صائب .. كيف نرحل عن أوطاننا ، ونخليها لعدونا

من أول مُصيبَةٍ أصابتنا مِنهُ ؟ الرأي الصواب أن نجتمع أمرنا ،

ونستعِدُّ للقاءِ عدونا .. أن تُشعل نَارَ الحَرْبِ وتستعِدُّ للقاءِ عدونا ،

فتقاتلَ قتالَ الشُّجْعانِ .. قتالاً نتحصنُ فيه بِحُصُونِنَا ، فنقتلُ مِنهُ

أكثرَ ممَّا قتلَ مِنَّا ، ونُصيبُ مِنهُ أضعافَ

ما أصابنا .. هذا هو الرأي الذي أراد ..



وَنَظَرَ الْمَلِكُ إِلَى مُسْتَشَارِهِ الثَّالِثِ قَائِلًا :

- وَأَنْتَ مَا رَأَيْتَ فِيمَا جَرَى ؟

فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الثَّالِثُ :

- مِنْ رَأْيِي أَلَا نَبْدَأُ حَرْبًا ، حَتَّى تُرْسِلَ جَوَاسِيسَنَا إِلَى عَدُوِّنَا ، فَتَعْلَمَ هَلْ يُرِيدُ عَدُوِّنَا صَلَاحًا ، أَمْ يُرِيدُ حَرْبًا ، أَمْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُزْهِبَنَا وَيَجْبُرَنَا عَلَى دَفْعِ الْفِدْيَةِ ؟ فَإِذَا رَأَيْنَاهُ طَامِعًا فِي مَالِ ، صَالِحِنَاهُ عَلَى فِدْيَةٍ نُوَدِّعُهَا إِلَيْهِ ، نَدْفَعُ بِهَا كَيْدَهُ ، وَنَرُدُّ عَدُوَّنَاهُ ، فَتَعِيشُ أَمْنًا فِي دِيَارِنَا ، وَلَا نَزُحِلُ عَنْ أَوْطَانِنَا .. فَتَنْظُرَ مَلِكُ الْغُرَبَانِ إِلَى مُسْتَشَارِهِ الرَّابِعِ قَائِلًا :

- وَأَنْتَ مَاذَا تَرَى فِي هَذَا الصَّلَاحِ ؟

- فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الرَّابِعُ :

- لَا أَرَاهُ رَأْيًا صَاحِبًا .. وَالرَّأْيُ عَيْدِي أَنَّنَا لَوْ اضْطَرُّرْنَا

إِلَى مُفَارَقَةِ أَوْطَانِنَا ، فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْغُرْبَةِ ،

وَسِدَّةُ الْمَعِيشَةِ كَلِمَةٌ مِنْ أَنْ نَذِلَّ أَنْفُسَنَا ، وَنَخْضَعَ

لِعَدُوِّنَا ..



وسكتَ المستشارُ الرابعُ حتى يلتقطَ أنفاسَهُ .. ثم قال :

- وأنا واثقٌ أننا لو فعلنا ذلكَ معَ اليومِ ، فإنه سوفَ يجتري علينا
أكثرَ ، ولنَ يرضى إلّا بخضوعنا وإذلالنا وسلبِ أموالنا ، والرأى عيبي
أنَّ نُجهزَ أنفسنا لمُحاربتِهِ ..

فنظرَ الملكُ إلى مُستشارِهِ الخامسِ وقال :

- وأنتَ ماذا ترى في هدمِ الآراءِ المطروحةِ ؟

هلَ ترى أنَّ نقاتلَ عدوَّنا ، أمْ نُصالحهُ ، أمْ نرحلَ عنْ أوطاننا ؟

فقالَ المستشارُ الخامسُ - ويبدو أنه كانَ أكثرهمْ غللاً وجحمةً :

- أمّا القِتالُ ، فأنا أرى أنه لا سبيلَ لنا إلى قِتالِ عدوِّنا ،



لأنه أقوى ميًا .. وقد قال الحكماء : مَنْ لَا يَغْرِفُ نَفْسَهُ وَيَغْرِفُ غَدُوَّهُ ،
وَأَقْدَمَ عَلَى قِتَالِ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ ، أَهْلَكَ نَفْسَهُ .. وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي
لَا يَسْتَصْغِرُ غَدُوَّهُ ، لَأَنْ مَنْ اسْتَصْغَرَ غَدُوَّهُ اغْتَرَبَ بِهِ ، وَمَنْ اغْتَرَبَ بِغَدُوِّهِ
لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ .. وَلِذَلِكَ قَالُوا أَنْصَحَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِالِإِتِّعَابِ عَنْ قِتَالِ الْيَوْمِ ..
فَاسْتَحْضَنَ الْمَلِكُ كَلَامَ مُسْتَشَارِهِ .. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ قَائِلًا :

- هَلْ تَعْلَمُ أَيُّهَا الْغُرَابُ الْحَكِيمُ ، كَيْفَ كَانَتْ بِدَايَةُ الْعَدَاوَةِ بَيْنَ الْيَوْمِ
وَالْغُرَابِ ؟

فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْخَامِسُ :

- رَعِمَ أَجْدَادُنَا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُنْذُ سِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ جَدًّا ، وَأَنَّ سَبَبَ هَذِهِ
الْعَدَاوَةِ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ طَائِفِ الْخُرَاسِيِّ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَلِكٌ ،
فَاجْتَمَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ وَفَرَّرَتْ أَنَّ تَجْعَلَ مَلِكَ الْيَوْمِ مَلِكًا عَلَيْهَا ..



وبيئنا جماعة الكركى فى اجتماعها رأيت غرابا يحجل قريبا منها ،
فاستشارته جماعة الكركى فيما قررته من اختيار ملك اليوم ملكا لها ..
فقال ملك الغربان :

- وماذا قال ذلك الغراب ؟

فقال المستشار الخامس :

- قال الغراب : كيف تملكون ملك اليوم عليكم ؟ أما علمت أن البومة
هى أقيح الطيور منظرًا ، واستورؤها خلقًا ، وأقلها عقلًا ، وأشدّها
غضبًا ، وأقلّها رحمةً بمخلوقات الله ؟ هذا بالإضافة إلى ضعف
بصرها نهارًا .. واليوم بالإضافة إلى ذلك طائر مشنوم يتضايق
الناس من رؤيته ..

وراح الغراب يعدّ مساوى اليوم ، وينصح جماعة الكركى بعدم
تخليكه عليها مهما كانت الظروف .. فلما سمعت جماعة الكركى ذلك
أغرضت عن تملك ملك اليوم
عليها ..



فقال ملك الغراب:

وماذا حدث بعد ذلك؟

فقال المستشار الخامس:

.. كانت هناك بومة حاضرة، فسمعت كل ما قاله ذلك الغراب،
ونقلته إلى ملك اليوم، فغضب غضباً شديداً، وقال للغراب: لقد
اذيتني أذى شديداً، لن يمحي من قلبي أبداً، برغم أني لم يسبق مني
أن وجهت إليك أذى أو إهانة.. لقد عرستكم معاشير الغراب بيننا
وبينكم شجر الحقد، واشعلتم نار العداوة والبغضاء..

فلما سمع الغراب ذلك علم أنه أخطأ في حق اليوم، وندم ندماً
شديداً على ما صدر منه من قول فيه إهانة لليوم..
وبعد أن ثاب الغراب إلى رأسه، قال في نفسه:
والله لقد تجاوزت في قولي هذا الغي، الذي جلبت به
العداوة والبغضاء على نفسي وعلى قومي..



لَيْسَنِي لَمْ أُخْبِرْ جَمَاعَةَ الْكُرْكِيِّ بِمَا أُخْبِرْتُهُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْبُومِ . إِنْ كَلَّ
الطَّيْرُ تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِ الْبُومِ وَمَسَاوِيهَا أَخْذَرُ مِمَّا أَعْلَمُ ، وَلَكِنْ مَنَعَهَا مِنْ
الْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ الْخَوْفُ مِنْ جَلْبِ عِدَاوَةِ الْبُومِ لَهَا وَلِقَوَمِهَا ..
إِنْ الْعَاقِلُ - حَتَّى وَلَوْ كَانَ وَاثِقًا بِقُوَّتِهِ - لَا يَتَّبِعِي أَنْ يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى
جَلْبِ الْعِدَاوَةِ لِنَفْسِهِ وَلِقَوَمِهِ ..

فَقَالَ مَلِكُ الْغُرَبَانِ :

- وَمَاذَا شَرَى أَيُّهَا الْمُسْتَشَارُ الْعَاقِلُ مِنْ حَلٍّ لِمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ شِدْقٍ
وَكَرْبٍ الْآنَ مَعَ عِدْوَتَا الْبُومِ ؟
فَقَالَ الْمُسْتَشَارُ الْخَامِسُ :

- عِبْدِي مِنَ الْخَيْلَةِ وَالرَّأْيِ وَالْمَكِيدَةِ مَا أَرَى فِيهِ مَخْرَجًا لِمَا نَحْنُ فِيهِ
مِنْ هَمٍّ ، وَكَرْبٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ (تعالى) - فَرُبَّ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا بَارَائِهِمْ ،



حتى ظفروا بما أرادوا ، ونالوا كل ما تمنّوا ..

فقال ملك الغربان :

- اغرض غلى كل ما تفكر فيه أيها الحكيم ، فأنا غلى اذان صاغية ، وأنت تعلم أنني أقدر رأيك حق قدره ، وأحترمه من بين جميع الآراء ..

فسكت المستشار الخامس قليلاً .. ثم قال شارحاً خطته التي استقر عليها راية بعد تفكير طويل :

- أريد من الملك أن يأمر جنوده بنقري ونثف ريشي ونثلي ،



ثم يأمرُ بالثأري عند جذع هذه الشجرة التي نعيشُ فيها ..
فتعجبُ الملكُ ، وتعجبُ كلُّ الحاضرين من كلامِ المستشارِ الخامسِ ..
وقال الملكُ مستنكراً :

- كيف تُطاولُ عني نفسى أن أفعل ذلك فى أعقلٍ وأحكمِ أعوانى وأعرُ
اصدقائى ؟

فقال المستشارُ الخامسُ فى إصرارٍ :
- من أجلِ الأهلِ والأوطانِ يهونُ كلُّ شيءٍ ، حتى النفسُ يا ملكَ
الغريبان ..



فَقَالَ الْمَلِكُ :

- وما هي خطبتك في ذلك ؟ فقال المستشار الخامس :

- بعدُ أَنْ تَفْعَلُوا بِى ذلك ، أَرْجُو أَنْ تَرْحَلَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِجَنُوبِكَ ، وَبِكُلِّ
مُجْتَمَعِ الْغُرَبَانِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ أَمِنٍ لِأَهْلِي وَقَوْمِي ، وَتَنْتَظِرُونَ هُنَاكَ ،
حَتَّى أَنْخُلَ فِي مَجْتَمَعِ الْيَوْمِ وَأَعِيشَ بَيْنَهُمْ ، فَاحْتَظُّ بِهُمْ ، وَأَطْلُعَ عَلَى
كُلِّ أَحْوَالِهِمْ ، فَاسْتَطِيعَ أَنْ أَحْدِثَ نِقَاطَ ضَعْفِهِمْ ، وَأَعْرِفَ مَدَى قُوَّتِهِمْ
وَتَخْصِيصَاتِهِمْ ، ثُمَّ أَهْرَبُ وَاتِي إِلَيْكُمْ لِنَهْجَمَ عَلَيْهِمْ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ
وَنُثَالِ مِنْهُمْ ثَارَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ (تعالى) ..



وَبَرَّغَمِ الْقَبْجَاعِ الْمَلِكِ بِمَا عَرْضُهُ عَلَيْهِ مُسْتَشَارُهُ الْخَامِسُ مِنْ خِطَّةٍ
فِيهَا خَيْدٌ لِلْأَعْدَاءِ ، إِلَّا أَنَّهُ ظَلَّ يَرَاجِعُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ قَائِلًا :
- هَلْ تَطِيبُ نَفْسُكَ بِهَذَا الْعَمَلِ الْبُطُولِيِّ الَّذِي قَدْ تَدْفَعُ فِيهِ حَيَاتَكَ ،
وَتَضْحَى فِيهِ بِنَفْسِكَ ؟

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ الْمَلِكُ يَتَلَقَّى جَوَابَ مُسْتَشَارِهِ الْخَامِسِ بِالرُّضَا
وَالْقَبُولِ لِهَذَا الْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِي سَيَقُومُ بِهِ .. وَهَكَذَا رَحَلَ مَلِكُ الْغُرَبَانِ
مَعَ جُنُودِهِ وَكُلِّ مُجْتَمِعِ الْغُرَبَانِ ، بَعْدَ أَنْ نَشَقُّوا رِيشَ الْمُسْتَشَارِ
الْخَامِسِ وَأَثَوْهُ بِالنَّقْرِ وَالضَّرْبِ .. ثُمَّ تَرَكَوهُ عَلَى الْأَرْضِ بِجَوَارِ جَذَعِ
الشَّجَرَةِ ، لِيَبْلَقَ نَصِيرَةَ الْمُحْتَنِمِ ، فَهَلْ يَنْجَحُ فِي مُهِمَّتِهِ ، أَمْ تَكُونُ
فِيهَا نِهَائَتُهُ ؟

الكتاب القادم
حاسوس في مملكة البوم